أحاديث عن الأخلاق الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين؛

نسائم الإيمان وقيم الأخلاق مهمة للإنسان وضرورية في حياته، فنسائم الإيمان التي تهب علىٰ القلب تزيد من همته وثباته، وجميل الأخلاق والقيم التي يستفيدها الإنسان في حياته تجمِّل مظهره عند الناس وتثقل موازينه عند رب الناس.

ومن النسائم الإيماني قصة من القصص الجميلة التي يستفيد منها الإنسان، ويزداد بها إيمانًا وثباتًا، يرويها أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أنَّ رجلًا قالَ : يا رسولَ اللَّهِ: إنَّ لفُلانٍ نَخلةً ، وأَنا أقيمُ حائطي بِها ، فأمرهُ أن يُعْطِيَني حتَّىٰ أقيمَ حائطي بِها ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعطِها إيَّاهُ بنخلةٍ في الجنَّةِ**» فأبىٰ، فأتاهُ أبو الدَّحداحِ فقالَ: **بِعني نخلتَكَ بحائطي**. ففعلَ، فأتىٰ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّي قدِ ابتَعتُ النَّخلةَ بحائطي**. **قالَ: فاجعَلها لَهُ ، فقد أعطيتُكَها**. فقالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَم مِن عذقٍ رَداحٍ لأبي الدَّحداحِ في الجنَّةِ**» قالَها مرارًا، قالَ: فأتىٰ امرأتَهُ فقالَ: **يا أمَّ الدَّحداحِ اخرُجي منَ الحائطِ ، فقد بعتُهُ بنخلةٍ في الجنَّةِ**. فقالَت: **ربحَ البيعُ**. أو كلِمةً تشبِهُها [الصحيح المسند] (٣٢)

■ أتىٰ الرجل يشتكي إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يريد أن يقيم حائط جدار، وفي طريق إقامته علىٰ هذا الحائط هذا هناك نخلة لرجل فطلب من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعطيه ذلك الرجل هذه النخلة حتىٰ يتم بناء جداره أو حائطه الذي هو حائط المزرعة.

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعطِها إيَّاهُ بنخلةٍ في الجنَّةِ**»، أعطه هذه النخلة ولك بها نخلة في الجنة، «**فأبىٰ**» ذلك الرجل

أن يعطيه نخلته بنخلة في الجنة، وهذا حقه لا يجبر عليه، فسمع صحابي هذا الترغيب وهذا الأجر فوقع في قلبه، فأتىٰ هذا الصحابي إلىٰ ذاك الرجل فقال:«**بِعني نخلتَكَ بحائطي**»، أتىٰ الصحابي أبو الدحداح إلىٰ ذلك الرجل الذي منع أن يعطي نخلته للذي يريد أن يقيم الحائط، قال: بعني نخلتك بحائطي بمزرعتي نخلة مقابل مزرعة!!

ويُذكر أن مزرعة أبي الدحداح كانت كثيرة النخل حتىٰ تصل إلىٰ ستمائة نخلة، فأتىٰ أبو الدحداح النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: «**يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّي قدِ ابتَعتُ النَّخلةَ بحائطي** -أي: اشتريت النخلة بمزرعتي كاملة- **قَالَ: فاجعَلها لَهُ ، فقد أعطيتُكَها** -يعني لذلك الرجل الذي اشتكىٰ مقابل الذي يريده أبو الدحداح نخلة في الجنة-»، فَقَال رَسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَم مِن عذقٍ رَداحٍ لأبي الدَّحداحِ في الجنَّةِ**»، وجلس يكرر هذه الكلمة صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[1].

لاحظ المقياس عند هذا الصحابي والأعظم من هذا أنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عندما ذهب إلىٰ زوجته أم الدحداح وهي في الحائط في تلك المزرعة الجميلة التي هي من أجمل المزارع وأكثرها نخلًا، فقال لها: «**يا أمَّ الدَّحداحِ اخرُجي منَ الحائطِ ، فقد بعتُهُ بنخلةٍ في الجنَّةِ** -اخرجي من ذلك البستان من تلك المزرعة، فقد بعت هذه المزرعة بنخلة في الجنةفانظر إلىٰ ردة فعل تلك المرأة- **فقالَت: ربحَ البيعُ. أو كلِمةً تشبِهُها**».

هذه القصة نقف فيها بعض الوقفات الإيمانية، ونستنج منها بعض القيم الأخلاقية:

الوقفة الأولى: نخلة في الجنة مقابل مزرعة في الدنيا، ما الذي حرَّك قلب أبي الدحداح حتىٰ يبذل أنفس ما عنده من بستان؟! تلك النخلة في الجنة ولا أقول نخلة من باب التصغير أبدًا، فإنه كما قال صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ**

(١) رواه أحمد (١٢٤٨٢).

الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[1]، فما بالك بنخلة في الجنة التي قال فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَخْلُ الْجَنَّةِ جُذُوعُهَا زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، وَكَرَبُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعَفُهَا كِسْوَةٌ لأَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنْهَا مُقَطَّعَاتُهُمْ وَحُلَلُهُمْ، وَثَمَرُهَا أَمْثَالُ الْقِلالِ أَوِ الدِّلاءِ، أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، لَيْسَ لَهُ عَجْمٌ»[2] أي ليس فيها نوىٰ.

صحابي يعرف ما معنىٰ نخلة في الجنة، يعرف ما معنىٰ أن تكون له نخلة في الجنة، أي سيكون هو في الجنة كي يتنعم بهذه النخلة، فما بالك بالجنة التي أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن آخر رجل يدخلها، له في الجنة مثل هذه الدنيا وعشرة أضعافها بما فيها من دوام وجمال ونعيم وأعظم من ذلك كله رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،ألا يستحق هذا أن يبذل من أجله هذا البستان، بلىٰ سلعة الرحمن غالية كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ»[3].

الوقفة الثانية: أن من عرف ما عند الله هانت عليه الدنيا وما فيها، ولن يتنازع ويتقاتل من أجلها ولن يبخل بها، ولن يمنع حقًّا من أجلها، من عرف ما عند الله من عوض وأجر عظيم وثواب ونعيم لا بدَّ أن تهون عليه ما في هذه الدنيا التي هي فانية زائلة، لا تدوم في مقابل جنة عرضها السماوات والأرض، دائمة لا يفنىٰ فيها الشباب، ولا تبلىٰ فيها الثياب، وهذا يجرُّنا إلىٰ أمر مهم وهو تحقيق معرفة الإيمان باليوم الآخر، من حقق الإيمان باليوم الآخر يقينًا واستقر في قلبه صدقًا فإنه سيكون في هذه الدنيا علىٰ الله مقبلًا وله باذلًا، لذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ -بالعكس- وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلا مَا قُدِّرَ لَهُ»[4]، من

(١) رواه البخاري (٣٢٥٠).
(٢) رواه الحاكم (٣٧٧٦)، وهو في صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣٧٣٥).
(٣) رواه الترمذي (٢٤٥٠).
(٤) رواه الترمذي(٢٤٦٥).

عرف الدار الآخرة حقيقة لن يتخبط في هذه الدنيا بل ستجده سائرًا إلىٰ الله سيرًا حثيثًا؛ لأن ما عند الله خير وأبقىٰ.

الوقفة الثالثة: انظر إلىٰ التربية الإيمانية الصالحة، فإنَّ أمَّ الدحداح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما كانت في وسط ذلك البستان الجميل، وأتاها أبو الدحداح وقال لها: اخرجي قد بعت ذلك الحائط بنخلة في الجنة، فانظر إلىٰ ردة الفعل السريعة التي لا تخرج إلا من قلب موقن بما عند الله قالت: ربح البيع، وفعلًا هذا هو الربح والتجارة الرابحة، فينبغي علىٰ المؤمن أن يربِّي أهله تربية إيمانية،أن يربي أهله علىٰ ما هو عليه من الإيمان والعمل الصالح لماذا لأن الإمام مالك يقول: **حتىٰ يكونوا عونًا لك علىٰ طاعة الله**.

لو ضربنا مثلًا في بعض النساء أو الزوجات التي ليست عندها تلك التربية الإيمانية، وهي متعلقة بهذه الدنيا تعلقًا كثيرًا، لو أتاها زوجها وقال لها مثل هذه العبارة التي قالها أبو الدحداح لأمِّ الدحداح لقامت الدنيا وما قعدت، كيف تضيع مزرعتك بنخلة في الجنة، يا أخي تصدق بنخلة وخلاص مثبطة وترد العزائم والأجور،فينبغي للمرأة أن تكون داعمة معنويًا لزوجها والزوج كذلك.

الوقفة الرابعة: قد ينتفع بالكلمة غير المخاطب، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطب ذلك الرجل الذي أبىٰ أن يعطي تلك النَّخلة للذي اشتكىٰ، من الذي انتفع بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أعطِها إيَّاهُ بنخلةٍ في الجنَّةِ**» أبو الدحداح الذي لم يخاطب بالكلمة مباشرة، وهذا يشير إلىٰ فائدة جميلة جدًا خصوصًا في هذا الوقت، هذا الوقت بعض أهل الخير وبعض طلبة العلم دخل فيهم نوع من التثبط واليأس والإحباط بسبب أنه عندما ينشر الخير يرىٰ قلة المتابعين والمستمعين والناشرين والمعجبين، فعندما يرىٰ هذه القلة يصيبه ذلك اليأس والإحباط، وهذه النظرة نظرة غير

سليمة لماذا؟ لابد أن نعود إلىٰ الأصل الذي تعلمناه وهو: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم»[1]، نتذكر القصص التي أخبر الله فيها عن نوح: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هُود:٤٠]، نتذكر قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَم، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهَيط، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلان، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ»[2] لا تنظر إلىٰ قلة وكثرة المتابعين، ولكن انظر إلىٰ المنتفعين، ولا تقارن ما تنشره من الخير بما ينشره غيرك من النكت التي تبلغ الآفاق، ويتابعها الملايين أو بعض الأغاني أو بعض الأشياء التي ليست لها قيمة فتنتشر ويعجب بها الناس،وأنت تقول كلمة الخير ولا تنتشر،فلا تظنَّ أنه لا ينتفع بها أحد، لا يا أخي احرص علىٰ بذل الخير، قد ينتفع بكلمة الخير من لم تحسب له بالًا، وقد ينتفع بكلمة الخير شخص ينتفع من خلف أمَّة، تبذل الخير ولا تجعل الميزان كثرة المتابعين بل كيفية المنتفعين، ولو كان واحدًا.

الوقفة الخامسة: أريد أن أنبه إلىٰ أمر جميل وهو عادة عندنا في كثير من القبائل وعند العرب بشكل عام وهي موجودة عندنا في الإمارات أن الناس يحرصون دائمًا علىٰ إعطاء النخل لغيرهم،كأن يستلم شخص مزرعة جديدة فيعطيه نخلة أو نخلتين، فسيلة أو فسيلتين، احتسب في ذلك الأجر فالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: من يعطه تلك النخلة وله نخلة في الجنة، فهذا من الثواب الذي قد لا ينتبه له بعض المزارعين.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يحفظنا بحفظه، وأن يبارك لنا في أموالنا وأولادنا وأهلينا، وأن يحفظ لنا بلادنا ومجتمعاتنا.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمّد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا.

(١) رواه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).
(٢) رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢٢٠).